أكره النفاق

زيد بن الخطاب

رضي الله عنه

النفاق يورث الذل ويهدم المجتمع

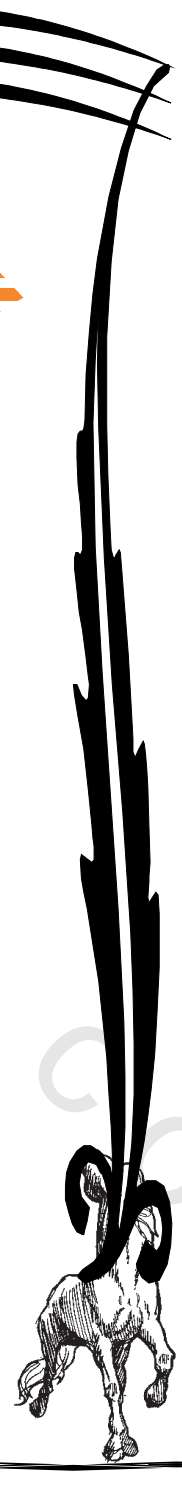

obeikandl.com

«ارتد (الرجال بن عنفوة)، وانضم لجيش مسيلمة الكذاب ».

نطق بها أحد الصحابة في دهشة ما لبثت أن انسحبت على وجوه كل الصحابة الذين دخل عليهم في المجلس، وتابع الرجل وهو لا يزال لا يتمالك نفسه من الصدمة:

– بعثه الخليفة أبو بكر الصديق إلى اليمامة، ليواجه دعوة مسيلمة الكذاب بالنبوة بناء على طلبه، فإذا به يفتن بما رأى من كثرة أتباع مسيلمة.

وفي الواقع.. لم يكن ما حدث إلا تصديقا لنبوءة تنبأ بها الرسول ﷺ للرجال بن عنفوة من زمن.

حينها كان يجلس «الرجال » مع اثنين من الصحابة ، هما أبو هريرة والفرات بن حيان، فإذا بالرسول ﷺ يدخل عليهم ويقول:

«أحدكم ضرسه في النار مثل أحد».

وما لبث بعدها أن أصاب القلق الجميع، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر في ذهول، وقد أخذت الكلمات تدق في رأسه كمطرقة لا تهدأ.

وظلت النبوءة معلقة حتى توفي الرسول ﷺ وتولى أبو بكر الصديق الخلافة.

وقتها كانت أخبار مسيلمة الكذاب قد تزايدت بصورة مرعبة، ونجح في أن يفتن بكذبه وخداعه الآلاف بصورة شكلت مصدر خطورة كبير على استقرار المدينة.

والغريب..أن من أكثر من انزعج من فتنة مسيلمة، هوالرجال بن عنفوة نفسه، حتى إنه ذهب إلى أبي بكر الصديق يستأذنه في أن يسافر لليمامة ليواجه هذا الطوفان القادم.

إلا أنه كان بعيدا عن توقع الجميع بما فيهم الرجال نفسه، أنه لن يصمد أمام الطوفان كثيرا..

فلقد ابتلعه طوفان الردة ليلقي به في ظلمات الكفر بعد الإيمان.

فتن الرجال – وهوالسفير القادم من المدينة ليحارب الفتنة – بأعداد هائلة آمنت بمسيلمة، فصدقته نبيا مرسلا من عند الله وشريكا للرسول ﷺ في النبوة.

إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد..

فلقد لعب الشيطان برأس الرجال، وأوهمه بأن مكانة عالية تنتظره في ملك جديد، تشرق شمسه لمسيلمة ..

يؤهله لذلك أنه يملك سلاحا خطيرا لا يملكه كل أتباع مسيلمة..

القرآن..

نعم القرآن..

لقد وصلت خيانة الرجال لرسوله ﷺ، أنه رأى مسيلمة ينسب بعض آيات القرآن التي ذكرها له الرجال لنفسه، مدعيا أنها أنزلت عليه من جبريل..

وسكت الرجال.. ليكمل مسلسل الخيانة مع مسيلمة، ويذهب بعيدا في الكذب والتدليس والنفاق..

ووصلت به الجرأة والوقاحة، إلى أن يسير بين الناس معلنا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه أشرك مسيلمة بن حبيب في الأمر، وأنه ما دام الرسول ﷺ قد توفي؛ فإن أحق الناس بحمل راية النبوة من بعده هو مسيلمة.

كانت الأخبار تصل المسلمين في المدينة، وهم يعضون على ضروسهم غيظا مما فعل الرجال.

إلا أن واحدا منهم لم يستطع أن يتحمل ما فعله الرجال..

وعقد العزم على قتله يوما، ليطفئ تلك النار المشتعلة في صدره..

ولم يكن هذا الصحابي..إلا الأخ الأكبر لعمر بن الخطاب..

زيد بن الخطاب.

* * *

كان زيد بن الخطاب كثير الشبه بأخيه عمر..

ولم يكن ذلك الشبه في تلك الصفات الجسدية فقط، من الطول الفارع والقوة الجسدية المخيفة.

بل في صفاته الخلقية والنفسية أيضا، من جرأة وشجاعة ووضوح وصراحة وبغض للنفاق والمنافقين..

وهذه الصفة الأخيرة بالتحديد، هي التي ضاعفت من غيظه من الرجال بن عنفوة، فلقد كان يعلم تماما أن اتباع الرجال لمسيلمة لم يكن عن اقتناع وإيمان، إنما كان عن طمع وشهوة في منصب ومكانة لم يجدها عند المسلمين، ورأى أنه سيفوز بها عند مسيلمة..

وكان ثمن ذلك الخيانة.. خيانة الرسول ﷺ والخليفة والمسلمين، والمتاجرة بآيات القرآن الكريم.

وإذا كان زيد يكره النفاق والمنافقين، فماذا سيفعل تجاه الخيانة والخائنين؟!

لقد توعد زيد الرجال ألا يفلت من يده في يوم موعود..

ولم يطل انتظار زيد بن الخطاب كثيرا..فلقد جاء يوم القصاص بأسرع مما كان يتوقع..

في موقعة اليمامة.

فلقد أمر الخليفة أبو بكر الصديق بخروج جيش يقوده خالد بن الوليد لإنهاء تلك الفتنة الخطيرة.

ونظر خالد حوله ليقسم الألوية على الفرسان المشهود لهم بالفداء والبطولة والشجاعة النادرة.

ولم يتردد خالد في أن يسند أحد ألويته إلى البطل الشجاع زيد بن الخطاب.

ولم لا ؟ وهوالذي قاتل في أحد بلا درع يحميه من طلقات السهام وضربات السيوف.

نعم.. فلقد سقط درعه فجأة في معمعة أحد، وأذا بأخيه عمر بن الخطاب ينظر إليه فيجده يقاتل بلا درع، حتى أصبح مهددا بالخطر، فصاح عمر في لهفة قائلا له:

– خذ درعي يا زيد فقاتل بها.

وبكل شجاعة وصرامة يرد عليه زيد قائلا:

– إني أريد من الشهادة ما تريد يا عمر.

وطبيعي أن يكون من يحرص على الشهادة مثل هذا الحرص، أحد قادة معركة من أشرس المعارك في حروب الردة.

كانت معركة اليمامة شرسة إلى الدرجة التي دارت فيها الدائرة على المسلمين في أول المعركة، واهتز المسلمون بشدة، وتسلل الخوف والفزع إلى قلوبهم من هول المفاجأة..

وعندما رأى زيد ذلك، إذا به يصعد فوق ربوة عالية ويصيح بصوت جهوري قوي ليرفع الروح المعنوية لجنوده قائلا:

– أيها الناس.. عضوا على أضراسكم، واضربوا في عدوكم، وامضوا قدما.. والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله، أوالقاه سبحانه فأكلمه بحجتي.

ونزل زيد من ربوته ليقاتل قتال الأسود.. يبحث عن ضالته التي عزم على أن يقضى عليها في المدينة، ورآها فرصة جيدة لأن ترفع معنويات المسلمين في المعركة..

الرجال بن عنفوة..

ظل زيد يضرب بسيفه يمينا ويسارا، ويتحرك بين الصفوف كالموج الهادر، وهو يتلفت هنا وهناك باحثا عن الرجال..

وأخيرا وقع بصره عليه و..

«هاهو..المرتد الفاجر ».

صرخ بها زيد بن الخطاب وسط المعركة، وكطلقة سهم أخذ يطارد الرجال، وبكل الرعب أخذ الرجال يسابق الريح ليختفي عن بصر زيد..

إلا أن الرجال وقع..

وقع أخيرا في يد زيد بن الخطاب..

وهوت الخيانة جبانة خرساء تتوسل وتتسول الحياة من زيد..

إلا أن زيدا لم يكن الرجل الذي يرق قلبه لخائن منافق مثل الرجال..

ولم يشعر الرجال بعدها إلا بسيف يهوي على عنقه، لينهي حياته ومغامرته الفاشلة مع مسيلمة.

وبمجرد أن علم المسلمون بمقتل الرجال، ارتفعت روحهم المعنوية، بينما اهتز جيش مسيلمة بعنف، فلم يكن خبر مقتل الرجال كخبر مقتل أي رجل من جيش مسيلمة.

إن الخبر كان يعني الكثير..

كان يعني كذب نبوءة مسيلمة الذي وعدهم بنصر ساحق، يقوم هو بعده ومعه الرجال بن عنفوة، وآخر يدعى المحكم بن طفيل، في اليوم التالي ببناء دولتهم.

لقد سقط الرجال.. وسقطت نبوءة مسيلمة..

وانطلق زيد يكمل مسيرته الناجحة نحوالشهادة، وهو عازم ألا يتكلم إلا بعد نصر مؤزر، أوأن يلقى الله شهيدا..

وظل زيد يقاتل باحثا عن الشهادة كما كان يبحث عن الرجال بن عنفوة..

وكما وجد الرجال.. وجد الشهادة..

أو وجدته الشهادة..

ورفعته عاليا إلى السماء في جنات عدن.

وسيعلم زيد يوما، أن نصر الله كان قد كتبه الله للمسلمين في اليمامة..

وسيرى أخاه عمر بن الخطاب، وهو يبحث عنه من بين المسلمين القادمين إلى المدينة فلا يجده..

فيربت أحد الصحابة على كتف عمر في رفق قائلا:

- لقد سبقنا زيد بالشهادة.

وتترقرق الدموع في عين عمر، ويهمس وهو يمسح دموعه:

- رحم الله زيدا..سبقني إلى الحسنيين..

أسلم قبلي..

واستشهد قبلي.

وظل حنين عمر إلى زيد لا يهدأ..

وكان دائما ما يقول وهو يسبح بخياله في بحر الذكريات:

- ما هبت الصبا، إلا وجدت منها ريح زيد.

رحم الله زيدا بن الخطاب..

وعمر بن الخطاب..

وكل آل الخطاب.

* * *

obeikandl.com

١ – الانخراط في مجموعة له تأثير كبير في تغيير السلوك (الرجال بن عنفوة يرتد نتيجة رؤيته للأعداد الهائلة التي ارتدت وآمنت بمسيلمة).

يتأثر سلوك الفرد بسلوك الجماعة إلى حد كبير، فكثيرا ما نجد شابا ملتزما قد ساءت أخلاقه نتيجة تعرفه على مجموعة من أصدقاء السوء، وكثيرا ما سمعنا عن أشخاص كانوا منحرفين أثرت فيهم صحبة المساجد وأحالتهم إلى أناس صالحين.

إن تأثر الفرد بالجماعة أمر حتمي، وهو سلاح ذو حدين، يمكن أن يستغله الفرد في إصلاح أحواله، أو يكون سببا في سقوطه في الهاوية؛ لذلك ينصح دائما باتخاذ الصحبة الصالحة وعدم الانخراط في التعامل مع أشخاص فاسدين، وإذا دعتك ظروف الدراسة أوالعمل إلى التواجد في بيئة غير ملتزمة، لابد أن تصنع لنفسك بيئة ملتزمة خارج نطاق الدراسة أوالعمل على الأقل.

إن الشخص الذي يريد تغيير سلوكه إلى الأفضل، سيجد نفسه قد قفز خطوات واسعة لو نجح في الاندماج في مجموعة تتبع هذا السلوك، مثل الشخص الذي يريد أن يواظب على الصلاة ، فيندمج في مجموعة تواظب على الصلاة، فتظل المجموعة دائما تسأله عن الصلاة أينما رأته، ودائما تدعوه إلى الصلاة إذا حان وقتها، وكذلك الحال في قراءة القرآن وغض البصر والمذاكرة..إلخ.

إن الإسلام يحث على استخدام الصحبة والجماعة استخداما نافعا مفيدا، وحذر من الانفراد بالنفس، كما حذر من الصحبة السيئة.

٢– لا أحد كبير على الفتنة (الرجال كان صحابيا و فتن في دينه باتباع مسيلمة).

لا أحد كبير على الفتنة، مهما كانت درجة إيمانه، والشخص الذي يفتن لم يكن يتخيل نفسه يوما أن يقع فريسة لهذا التغيير الهائل في موقفه، ولقد علمنا الرسول ﷺ أن نكثر من الاستعاذة من فتنة القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيخ الدجال، فكم من البشر غيروا مواقفهم ومبادئهم تحت ضغط الظروف الاقتصادية أوالاجتماعية أو حبا في شهوة أو رغبة في منصب، والفتنة تحدث عندما تنهار مقاومة الإنسان تحت تأثير ضغط أوإغراء، فيجد نفسه منساقا بقوة رهيبة إلى تغيير مشاعره، ثم يتبع ذلك تغيير آرائه وأفكاره ومبادئه، ويصل إلى الدرجة التي يتعجب هو فيها من أنه ظل كل هذه الفترة السابقة مقتنعا بمبادئ خاطئة.

هذه هي الفتنة، التي من الممكن أن يتعرض لها أي أحد مهما كان، وتستحق أن ندعوالله دائما ألا يفتنا في ديننا..

فاللهم لا تفتنا في ديننا.

٣- مرض النفاق.. مرض استشرى في المجتمعات العربية بسبب القهر والظلم (زيد بن الخطاب كان يكره النفاق والمنافقين).

يزداد النفاق في المجتمعات التى تتميز بالقهر والظلم وكبت الحريات، فيدرك المواطن بعدها أن النفاق هوالوسيلة الفعالة والسهلة للوصول لمنصب لا يستحقه، أو ربما يستحقه، ويكبر المنافقون، ليخرج جيل آخر يضطر إلى نفاقهم ليصل إلى ما وصلوا إليه، ويتوارى المخلصون وينزوي أصحاب الكفاءة، ليحل محلهم من له مؤهلات في الكذب وقلب الحقائق والغيبة ونقل الأخبار، ويضيع الولاء للوطن، ويصبح الولاء لأشخاص كل ما يهمهم مصلحتهم الشخصية.. وطبيعي بعد كل ذلك أن تتخلف البلاد ويذل العباد.

إن الإسلام يحارب النفاق ويضع للإخلاص مكانة عالية خطيرة، فهوالذي يزن الأعمال، وبدونه تصبح كل الأعمال مهما عظمت حقيرة لا تساوي عند الله جناح بعوضة..

إن الإسلام يدعوالى أن يكون الإخلاص هوالذي يرفع قيمة من يستحق، فيوضع كل شخص في مكانه، فيرتفع شأن الأمة، ويشعر الكفء بقدره وانتمائه.

٤- الإخلاص في العمل لابد أن تكافأ عليه يوما (خالد بن الوليد يختار زيد بن الخطاب على أحد ألويته بعد شجاعته الفريدة يوم أحد).

من الممكن أن يجتهد شخص ما في عمله ويخلص فيه، ثم لا يجد مردودا لهذا الجهد وهذا الإخلاص ، وتجارب الحياة تثبت أن المجتهدين الذين لم يأخذوا حقهم، غالبا سيأتي يوم وتأتيهم الفرصة التى تكون بمثابة المكافأة لهم، بشرط استمرارهم في العمل الجاد المخلص وعدم اليأس، فإن لم يحصل المجتهد على مكافأته في الدنيا، فلينتظر مكافأته الكبرى في الآخرة من الله، وهوالحق الذي لا يخلف وعده.

* * *